الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي صالحي أحمد -النعامة-

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

(تخصص أدب عربي حديث ومعاصر) موسومة:

أدب الرحلات في الجزائر
-أبو قاسم سعد الله نموذجا

إعداد الطالبتين:

1- بغدادي زهرة
2- عبيدين منال

إشراف الأستاذ الدكتور:

- علي ساعد

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الفخر والشرف أن أعتز بهما فوق الواجب، وأن أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى التي حملتني وهنًا ووضعتني وهنًا إلى أمي **"رقية بغدادي"** التي سهرت الليالي في أمان، إلى أمي لو أعطيتها كلما في الدنيا ما وفيت أجرها، إليك يا أمي أعز ما أملك

إلى الذي لم يبخل علي بشيء احتجته إلى من سهر وتعب من أجل راحتي إليك يا نبع العطاء ورمز العمل والصرامة إليك يا أعز مخلوق في الدنيا أبي **"محمد بغدادي"** ومهما قلت فلم أوفيكما حقكما مقابل الجهد الذي قدمتموه في رعايتي في تربيتي أنتما مصباح الذي ينير الطريق بدعوتكما.

إلى المرحومة والمغفور لها أسكنها الله فسيح جناته جدتي العزيزة **"دريسي حليمة"**

وإلى صديقتي رحمها الله **"أسماء دقداق"** أسكنها الله فسيح جناته.

وإلى عمتي الغالية **"بغدادي خيرة"** وإلى عمي الغالي **"بغدادي عبد القادر"** وإلى أخواتي الغاليات **"فاطمة، حجلة، أمينة، وأمال"** وإلى بهجة البيت الكتكوتة الصغيرة **"وردة سجود"**

وإلى من كان ولا زالوا سندا لي في الحياة إخوتي **"علي، قدور"**

وإلى زوجي حبيبي

وإلى كل الأهل والأقارب وكل من يحمل لقب بغدادي وإلى أعز أصدقائي "

وإلى كل أصدقائي في الإقامة الجامعية علي بودغن المدعو "عقيد لطفي"

وإلى كل أصدقائي في العالم الأزرق فيسبوك

إلى كل من عرفني وإلى كل من لم يجد اسمه في الإهداء وإلى كل من وصلهم قلبي ولم يكتبهم قلمي.

زهرة بغدادي

إهداء

بعد التوفيق من الله عزوجل في إنجاز هذه المذكرة

أهدي ثمرة عملي إلى من جعل الله محبته في قلبي عطاء لا ينتهي وفخرا لا ينجلي

وإلى من علمني العطاء بدون انتظار وإلى من أحمل اسمه بكل افتخار وإلى من

وقف بجانبي وأنار دربي في الحياة "أبي العزيز "علي عبيدين" أطال الله في عمرك

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان وسمة الحياة ومعنى الوجود إلى من ضحت

بسنين شبابها من أجل أبنائها أمي الغالية "فطيمة تيلولي".

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي التي كانت غاية المنى لديها

رؤية أحفادها وهم يحققون النجاحات في دراستهم ومستقبلهم جدتي الغالية

أطال الله في عمرها

إلى من تقاسموا معي الأفراح والأحزان إخوتي "جيهان، عماد، سليم"

إلى كل أفراد العائلة صغيرها وكبيرها حفظهم الله وأطال عمرهم جميعا.

وإلى خالتي وبنات عمي اللتان قدمتا لي يد العون في هذا العمل "سميرة، رفيقة"

إلى جميع طلبة الأدب العربي، إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي...

منال عبيدين

الشكر والعرفان

نحمد الله على فيض عطائه وعلى جزيل نعمه، ونشكره شكرا المعترف بنعمه وآلائه، الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل وإتمامه، فله الحمد حتى يرّضى وله الحمد عند الرضى وله الحمد بعد الرضى.

تراءى لنا أن كلمة الشكر لا تؤدّي الحاجة، فكل التعابير المدح والثّناء لا توفي حق مكانتكم، فأنتم تستحقون منا أكبر تقدير واحترام.

إلى كل أصحاب الفضل علينا، إلى أساتذتنا الكرام بجامعة النعامة، ونخصّ بالذكر أستاذنا الفاضل علي ساعد الذي كان نبراسا استضئنا بنور إرشاداته وتوجيهاته السديدة.

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

البسملة

الشكر والعرفان

الإهداء

فهرس الموضوعات

المقدمة: ..... أ

المدخل: 4

الفصل الأول:

الفصل الأول تعريف برحالة ابو قاسم سعد ورحلاته: 11

تعريف الرحالة ابو قاسم سعد الله: 11

رحلات ابي قاسم سعد الله: 12

رحلة ابو قاسم سعد الله إلى المغرب: 12

رحلة ابو قاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية: 13

رحلة ابو قاسم سعد الله إلى خنقة سيدي ناجي: 14

المضامين الإبداعية لرحلات ابو قاسم سعد الله: 15

المضمون الثقافي : 15

المضمون الديني الروحي: 15

المضمون الإجتماعي: 16

دوافع رحلات ابي قاسم سعد: 17

دوافع رحلته إلى الجزيرة العربية: 17

دوافع رحلته إلى المغرب: 18

دوافع رحلته إلى خنقة سيدي ناجي: 19

الفصل الثاني:

الجوانب الفنية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله..... 21

مواضيع رحلات أبي القاسم سعد الله..... 25
رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب: 29 يوليو 1973م..... 25
رحلة أبي القاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية: أبريل 1977م..... 25
زيارة سعد الله لخنقة سيدي ناجي: 8 فبراير 1980..... 26
البنية السردية في رحلة أبي القاسم سعد الله. 27
الخاتمة: 40
قائمة المصادر والمراجع: 43

المقدمة

أدب الرحلة نوع من الأنواع الأدبية الذي ينقل فيه الرحالة العديد من الفنون الأدبية والعناصر الثقافية، لأنها تتضمن مختلف النواحي الثقافية الاقتصادية الدينية السياسية الاجتماعية ....

كما يعد مصدرا أساسيا من مصادر الموروث الثقافي والتاريخي كذلك لما ينقله الرحالة من صور حية وحقيقية لزيارة لمختلف البلدان ونقله للعادات والتقاليد وأساليب العيش وفنونهم وصناعاتهم ولباسهم....

وعليه ارتأيتنا الخوض في دراسة أدب الرحلة واتخذنا إماما لنا في هذا المجال المؤرخ والرحالة الجزائري **"دكتور أبو قاسم سعد الله"**، فأدب الرحلة قادنا إلى معرفة الفنون الأدبية وتراث الأمة واكتشاف خبايا وأسرار هذه الرحلات ونظرا لذلك.

رغبنا في الإجابة على السؤالين:

- ما هي مميزات أدب الرحلة بشكل عام، ومميزات أدب الرحلة عند الرحالة أبو قاسم سعد الله بشكل خاص؟

ولمعالجة هذه الإشكالية رسمنا الخطة التالية:

- بدأنا بمقدمة تناولنا فيها أهم عناصر أدب الرحلة.
- ثم مدخل عرضنا فيه تعريف الرحلة وأدبها ومميزاتها ونشأتها وأهميتها ودوافعها.
- ثم انتقلنا إلى الفصل الأول المرسوم بعنوان" الرحالة أبو قاسم سعد الله و رحلاته"، عرضنا فيه تعريفا للرحالة و ذكر لرحلاته و المضامين الإبداعية و دوافع رحلاته .
- أما الفصل الثاني فقد درسنا الجوانب الفنية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله وقسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول خصصناه بما يتعلق بالجوانب الفنية، أما بالنسبة للمبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى مواضيع رحلات أبي القاسم سعد الله، والمبحث الثالث شرحنا فيه الطريقة التي استعملها أبي قاسم سعد الله في سرد رحلاته.
- وأخيرا الخاتمة التي ضمنا فيها أهم الاستنتاجات المستخلصة في هذا البحث.

نجاح هذه الخطة ارتأينا اختيار المنهج وصفي سردي مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، اعتمادا على جملة من المصادر والمراجع ومن أهمها:

- كتاب تجارب في أدب الرحلة ابو قاسم سعد الله.
- ادب الرحلة في تراث الأدبي الفؤاد قنديل.
- لسان العرب الابن منظور.
- منشورات كتب الرحلة قديما وحديثا للدكتور سيد حامد النساج.

ومن العوائق والصعوبات التي اعترضت سبيلنا، جائحة كورونا واجراءاتها الصارمة وما سببته من تباعد اجتماعي وصعوبة في الحصول على المراجع.

وفي الاخير لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى المولى عز وجل ونأمل أن نكون قد وفقنا في هذا البحث الحمد لله أولا وآخرا كما نتقدم بالشكر إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد ونخص من ذكر الاستاذ المشرف "علي ساعد" لما له من فضل من التوجيه والإشراف ومتابعته لهذا البحث خطوة الخطوة نتوجه بالشكر إلى اللجنة المناقشة على دورها في اثراء هذا العمل وتقييمه والله الموفق.

وبحثنا هذا لا يزال قاصرا وناقصا نرجو أن تدعمه بحوث أخرى مستقبلا.

المدخل

منذ وجد الانسان وفي نفسه رغبة الملحة في التنقل والارتحال لأنه مفطور على حب الاستطلاع والتشوق إلى معرفه كل مجهول.

وبدأ الانسان يجوب البحار ويقطع العوام والقفار ويجول في أفاق الأرض، ويمشي في مناكبها ساعيا وراء رزقه ومتأملا فيما خلق الله تعإلى.

تعريف الرحلة والمفهومين اللغوية والاصطلاحي:

اولا لغة:

جاء في مقاييس اللغة "ابن فارس" مادة (ر.ح.ل) "الراء والحاء واللام[1] " اصل واحد يدل مضى في السفر .....

كما نلاحظ اسم الرحلة بضم الكسره يقال انه لذو رحله إلى الملوك ورحلة حكات "اللحباني" اي الارتحال أو الرحلة بالكسرة الارتحال للمسير يقال دنت رحلتنا ومنه قوله تعإلى:

" لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)"[2]

ومن قبيل ذلك ارحل فلان " كثرت رواحة فهو مرحل" و"الرحال العرب الرحال: الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بما شئتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى"[3]

ومن معاني الرحلة التي وردت كذلك في لسان العرب هي السفرة الواحدة كما اشار اليها ابن منظور "الرحلة السفرة الواحدة " [4]

[1]- ابن فارس معجم المقاييس اللغة تحقيق عبد سلام هارون ج 2 دار الجبل بيروت 1991 ص 498

[2]- القران الكريم "سورة قريش " اية رقم 2 ص 482

[3] ابراهيم مصطفى في معجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية ج 2 دار الدعوة 334

[4]- ابن منضور لسان العرب عبد الله علي كبير و اخرون دار المعارف القاهرة ص 1119

ربما تعتبر سفره واحدة كون الاولى تصبح وكأنها مرحلة انتقاليه في حياه الرحالة ولو كانت هناك رحله ثانيه لن يكون لها الانطباع نفسه بالنسبة لنفسيه الرحالة، ولا يختلف معه بطرس البستاني في معجمة ""محيط المحيط ""عندما يقول " رحل عن البلاد يرحل رحلا رحيلا ترحالا شخص وشار [1]"

ومن هذه الافعال يأتي اسم الرحلة فيعرفها بقوله:

"الرحلة نوع من الرحيل يقال رحل فلان من لا يعود، وعند المولودين قصة يكتبها المسافر عما جرى له وما رأى في سفره "[2]

إذا فالرحلة هي الانتقال وأضاف بطرس البستاني مفهوما اخر يتقاطع كثيرا مع مفهوم الاصطلاح للرحلة عندما اوضح في رحلته تلك وهذا ما نجده عند معظم من عرف الرحلة اصطلاحا

ثانيا اصطلاحا :

الرحلة سلوك إنساني حضاري يأتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليست الجماعة هي ما كانت عليه قبلها.

الرحلة العربية مثلا كانت لها ثمار انعكست بالإيجابية على الحضارة العربية الاسلامية وأوضح مثال على ذلك الأمة العربية قبل الفتح ليست نفسها بعد الفتح الاسلامي الرحلة بعد مجيء الاسلام تعد نقطه تتحول في الأمة جمعاء وفي جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاستكشافية وذلك من خلال احتكاك بالشعوب الاخرى ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم ومختلف فنونهم وهي اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن الشعوب وأقواما إلى أقوام تفصل بينهم البحار القفار[3]

ويعرفها عبد الله حمادي بقوله: أن "الرحلة سواء كانت برية أو بحرية أو كانت من انجاز فرضي أو جماعي تعتبر محاوله الاختراق حاجز مسافات واسقاط الفاصل الجغرافي بين

1- بطرس البستاني " محيط المحيط" م 2 مكتبة لبنان بيروت ص 227

2- مصدر نفسه ص 228

3- فؤاد قنديل أدب الرحلة في التراث العربي مكتبة دار العربية للكتاب ص 22

المكان والزمان"[1] فقد عرفها انطلاقا من أحد أهم أغراضها وهو الاختراق ومحاولة معرفة الأخر لتقريب .

ادب الرحلة :

أدب رحلة حركة في العمق وتجوال في جغرافية الأماكن والأشياء ومحاولة اكتشاف سر الاماكن والتعرف عليها فأدب الرحلة لون ادبي دو طابع قصصي.

يسمى أدب الرحلة "ادب مكتوب" من وحي الانتقال من مكان إلى مكان اخر أدب الرحلة أو أدب الرحلات" [2]وهو "مجموعه" الاثار الادبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته وفي بلاد مختلفة وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك واخلاق التسجيل الدقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في أن واحد ويعتبر أدب الرحلات قيمته الترفيهية والادبية احيانا مصدرا هاما للدراسات التاريخية"[3]

أدب الرحلات من الفنون الادبية التي شاعت لدى العرب منذ قديم وهو فن ادبي مدون ابتداء من القرن الثالث هجري اهتم أدب الرحلة بالصياغة الادبية إلى جانب المعلومات التاريخية والجغرافية.

مميزات أ دب الرحلة :

يلقى أدب الرحلة اهتمامات عديدة من الدارسين والمفكرين والباحثين وأهم ما يميزه هو الشمول والتنوع وهذان الملمحان يميزان جّل ما دوّن وحرر في أدب الرحلة يشمل "التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة كذلك فإنها تعنى بالوصف الدقيق والتصوير الامين والنقل الصادق بدافع تحري دقة تحريا علميا موضوعيا وهي عند اذن تتجلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي"[4]

---

[1] - عبد الله حمادي أصوات من أدب الجزائري الحديث دار البحث قسنطينة ص 108

[2] - مجدي وهبة معجم مصطلحات الأدب بيروت 1984 ص 77

[3] - مصدر نفسه ص 77

[4]- سيد حامد النساج : مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا مكتبة غريب القاهرة ر.ط.د.ت. ص 09

"أمّا التنوع يتمثل أساسا فيما يزخر به من مواد ذاتيه غنيه فهو تارة علمي وتارة شعبي وهو طورا واقعي واسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة إذا فهو يقدم مادة دسم متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب اي الشعب معاصر للعرب" [1]

نشأة الرحلة عند العرب:

للإنسان رغبة في المعرفة الحاجات والاشياء والاماكن وفي نفسه ولع بالتنقل والترحال لدوافع متعددة ومنها الحاجة والضرورة البحث عن قوة العيش والرعي والتجارة والصيد لذلك ارتحل داخل وخرج وطنه برا أو بحرا وقطع الوهاد والجبال والبحار.

ونتيجة ذلك الطموح سارع إلى الغزو والاحتلال والفتوح والواقع أن هذا الفن " موغل منذ القدم عرفته جل الأمم السابقة كالفراعنة والفينيقيين والرومان والاغريق" [2]

ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الافاق واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا[3]

وفي هذه الرحلات القديمة أو حديثة نلمس فيها تدوين كل ما لاحظوه وما عاشوه من تجارب لأغراضهم ودوافعهم المختلفة.

أهمية ا دب الرحلة:

الانسان له امكانية أكثر مما سبق في التاريخ والفرصة في الترحل للاكتشاف والتنفيس عن همومه أو لأغراض أخرى التجارة، لطلب العلم... من مكان لمكان لغرض ما وذلك لأنه يريد التعرف على ما يدور حوله من الاشياء المتنوعة والاماكن المختلفة وهذا ما يلمسه في قول الامام الشافعي:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب فان لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وان لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب [4]

---

[1]- اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشوفسكي تاريخ الادب الجغرافي نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان دار الغرب الاسلامي بيروت ط 2 سنة 1987 ص 28

[2]- عبد الله الركيبي الأعمال الكاملة مجموعة 4 دار الكتاب العربي 2011 ص 47.

[3]- مرجع نفسه ص 47.

[4]- الإمام الشافعي محمد بن ادريس ديوان الإمام الشافعي ص 53 . جمعه و حققه إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي بيروت ط 3/ 1996.

فان أهمية الرحلة تكمن في عدة مجالات منها تصرف على الأمطار ومحاسن الاثار فهي تزود الانسان بالمعلومات وفيها فوائد لا تعد ولا تحصى بها ما ذكر في الأبيات الاتية للإمام الشافعي :

تغرب عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم اكتساب معيشة وعلم وآدب وصحبة ماجد [1]

وللرحلات دور كبير ومهم في مجال العلم والعلماء أن بعض المؤرخين والادباء قد ألف كتب كثيرة وصوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم وآرائهم فصارت هذه الكتب وثائق مهمة تصور الحياة في تلك الازمان [2]

فهي منابع ثرية لمختلف العلوم يمكن أن يقال إنها بحر من المعارف والاكتشاف سجل الحقيقي لمظاهر الحياة المختلفة ومفاهيمها أهلها على مر العصور بحيث يقدم فيها الراحل أحوال المجتمعات وعادات الناس وتقاليدهم وملابسهم واطعمتهم واشربتهم وشعائرهم الدينية بأسلوب أدبي يقول" زكي حسن": "الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد ازمنة متتالية،"[3]

فرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها لأنها تستخدم الجغرافيا، وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الامور، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، وكذلك الاقتصادية، ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة وعرض ذلك بزي الادب وطابعه. [4]

---

[1]- مرجع سابق ص 159

[2]- أحمد أمين مصطفى "الحياة في القرن ثامن الهجري" كما تصورها رحلة ابن بطوطة القاهرة مطبعة السعادة ص3

[3] نواب دكتور عواطف بنت محمد يوسف كتب الرحلات في المغرب الأقصى دار الملك عبد العزيز للرياض 2008.ص20

[4]- المرجع نفسه، ص 20.

دوافع الرحلة :

الرحلة تغيير من انماط الحياة والتفكير وانتاج فهي ظاهرة طبيعية مميزة للإنسان وفي الحديث عن انواع الرحلة وتصنف تبعا لدوافعها ونذكر هذه الدوافع بإيجاز:

دوافع دينية :

كالرحيل لزيارة اماكن المقدسة لأداء فريضة الحج أو العمرة طلب الرحمة والمغفرة وزيارة القبور

دوافع علمية وتعلمية :

طلب المزيد من العلم من بلد لبلد وكذلك البحوث العلمية والكشوف الجغرافيا.

دوافع اقتصادية:

تهدف التجارة والتبادل السلع وفتح اسواق جديدة سلع نادرة أو رخيصة وفيرة "و قد يكون هربا من الغلا وسعيا وراء الرخس واليسر والوفرة أو العمل "[1]

دوافع الاجتماعية :

كضيق العيش وقلة الرزق والهروب من المشاكل الاجتماعية المختلفة.

الدوافع السياسية :

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى دول أخرى لتبادل الآراء، وتوطيد العلاقات.

دوافع صحية:

للعلاج والاستشفاء وراحة النفس والهرب من مكان موجود به مرض أو ضر بألم بأهله.

1- فؤاذ قنديل أدب الرحلة في التراث العربي مكتبة دار العربية للكتاب ص 20

الفصل الاول

التعريف بالرحالة ابي قاسم سعد الله ورحلاته

- المبحث الأول: تعريف بالرحالة أبي قاسم سعد الله
- المبحث الثاني: رحلات أبي قاسم سعد الله
- المبحث الثالث: المضامين الابداعية لرحلات أبي قاسم سعد الله
- المبحث الرابع: دوافع رحلات أبي قاسم سعد الله

الفصل الاول :التعريف بالرحالة ابو قاسم سعد الله ورحلاته

تعريف الرحالة ابو قاسم سعد الله:

هو ابو القاسم بن احمد علي سعد الله ولد بقرية – قمار -التابعة لولاية وادي سوف عام 1930 م، وهو باحث ومؤرخ، حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم من اللغة والفقه والدين.

نشأ في أسرة محافظة بسيطة تمتهن الزراعة وغرس النخيل[1] وفي بيئة صحراوية قاسية ومن معاناته انضم منذ صغره إلى الكتاتيب القرانية رفقة اقرانه بمسقط رأسه، فحفظ القران الكريم وبعض الفنون وقواعد اللغة العربية وزار مختلف البلدان الشرقية والغربية والأوروبية عاملا بها مدرسا ومشرفا في الجامعات [2].

ابو قاسم سعد الله يعد كاتبا وباحثا ومؤلفا موسوعيا أبدع في العديد من العلوم الانسانية والاجتماعية واللغات حيث اجاد الابداع باللغة العربية شعرا ونشر ألف كثير من الكتب في التاريخ والادب والسياسة.

ابو قاسم سعد الله في يوم 14 نوفمبر 2013 رحمه الله تاركا رصيدا هائلا من العمل والابداع والمشاركات والبحوث والمؤلفات خدمة لدينه ولوطنه وللفكر والثقافة.

ابو قاسم سعد الله شخصية وطنية وباحث موسوعي يشهد البعيد والقريب على فضله ومكانته العلمية دينية الوطنية الملتزمة حيث قيل فيه"شيخ المؤرخين مؤسس مدرسة تاريخية ادبيا وناقدا كان عالما موسوعيا بالعالم من زمرة الكبار كما جمع من علمه . . . حسنا ونبلا كثيرا "[3]وقيل فيه ايضا " هو جبل من المعرفة وعندما يتهاوى هذا الجبل فانه يكون كالزلزال لا يحدثه بوطنه فقط ولكنه يمتد أثره إلى جميع أنحاء الأمة العربية الاسلامية"[4]

---

[1]- ابو قاسم سعد الله حياتي عالم المعرفة لنشر و التوزيع المحمدية الجزائر طبعة خاصة 2015 ص 12.

[2]- بلغيث محمد أمين رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين ابو قاسم سعد الله بأقلام احبابه البصائر الجديدة لنشر وتوزيع باب الزوار الجزائر ط سنة 2014 ص 15.

[3]- بلغيث محمد أمين رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين ابو قاسم سعد الله بأقلام احبابه ص 319.

[4] -قسوم عبد الرزاق موسوعية فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية الخبر ع : 7284 ، 15 ديسمبر 2013 ص 21

رحلات ابي قاسم سعد الله :

قام الدكتور سعد الله بعدة رحلات مختلفة القصد والوجهة داخل الوطن وخارجه اما داخل الوطن فقد قادته إلى عدة مناطق بالجزائر باختلافها واتساعها الجزائر العاصمة، وادي سوف، بسكرة، وغيرها اما خارجه فقد شملت كلا من مصر والمغرب والسعودية وامريكا وغيرها لكن ما يهمنا من هذه الرحلات وما دونه في كتابه تجارب في الادب والرحلة وتتمثل هذه الرحلات في:

اولا : ابو قاسم سعد الله إلى المغرب :

بقلم الرحالة الوصاف سجل هذا العلامة المؤرخ الجزائري ابو قاسم سعد الله في رحلته الاولى إلى المغرب الاقصى من 29-07-1973 إلى 19-08-1973 استغرقت رحلته حوالي 20يوم وكانت غنية بالفوائد زاخرة بالأحداث وفيها من المفارقات ولا سيما في ما يتعلق بالأسعار وما شابهها ما يستثير ابتسامات المغربين والجزائريين حيث قال : " من اجل هذا عزمت على تحقيق امنيتي يشم هواء المغرب والنهل من يتابعه الحضارية اكتشاف بعض مجامله والتعرف على اهله والتزود من مخطوطاته الكتابي التاريخ الجزائر الثقافي "[1]

والسفر بالنسبة لي كالماء والهواء لو انقضت على سنة دون أن أتنفس هواء بلد اخر لأحسست بالاختناق حتى في وطني ويحقق خمس فوائد كان الشاعر العربي قد اختصرها في قوله:

تحرجهم واكتساب معيشة *** وعلم وآداب وصحبة ماجد[2]

قد استغرقت الرحلة على طائرة البوينغ التونسية، بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب ساعة وربعا وكانت الطائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة أخذت في الانقشاع كلما توغلنا في اتجاه الغرب وكانت تطير بمحاذاة البحر ثم حوالي منتصف الطريق انحرفت إلى اليسار وتعمقت في المناطق الداخلية بالمغرب وكانت الساعة تشير إلى السادسة

[1]- ابو قاسم سعد الله تجارب في الادب و الرحلة المؤسسة الوطنية للكتاب 1983 رقم النشر 82/1073 ص 205

[2]- دكتور أبو قاسم سعد الله تجارب في الأدب الرحلة المؤسسة وطنية لكتاب شارع زيغود يوسف الجزائر رقم النشر 1073 / 82 ص 205.

والربع عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار النواصر وشعرت حين اذن أن الطائرة كانت حمامة السلام ووحدة بين الاقطار الثلاثة فقد تجمع فيها الجزائريون والمغاربة والتونسيون واندمجت فيها طبائعهم المتكاملة : (الطاقة التونسي وانسانية الجزائري وشهامة المغربي) [1]

ثانيا رحلة الدكتور ابي قاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية:

السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر إلى اي جهة اخرى فإذا كنت في بقية الاسفار تستعد ماديا بالسياحة أو الحضور اجتماع دولي اول لأداء مهمة رسميه فإنك بالنسبة إلى الجزيرة العربية تستعد قبل كل شيء استعدادا روحيا مهما كان غرضك المادي من السفر سيما إذا كان سفرك اليها لأول مرة كما كان الحال بالنسبة لي" ذلك انه طالما راودني الخاطر للسفر اليها استجابة لنداء روحي داخلي وحبا في الدراسة والاطلاع وربطا للماضي وبالحاضر"[2]

فقد كانت عزيمة الدكتور سعد الله في تحقيق امنيته القديمة حيث شرع في الاستعداد الروحي والمادي ما لقوله : " كنت أمني نفسي بزيارة الاماكن المقدسة ورؤية الارض التي انبثق منها الاسلام وصارت قوافل للجهاد تنشر القران الكريم والسنة النبوية في مشارق الارض ومغاربها " [3] والموضوع الرئيسي لهذه الرحلة وهو " الندوة العالمية الاولى لمصادر دراسات التاريخ الجزيرة العربية " هو موضوع واسع جدا يتناول مصادر التاريخ الجزيرة العربية خلال العصور المختلفة في جميع ظواهرها ولعل هذا هو ما جعل المشرفين على الندوة يقررون في نهايتها أن يخصص الندوة القادمة لتاريخ الجزيرة العربية وبالنسبة للأبحاث يلاحظ وفرة المشاركين مع العالم" الانكلوسكسولي "اما من العالم الاسلامي غياب ليبيا وموريتانيا والصومال واليمن الجنوبية ولبنان وهناك من البلدان العربية التي اخذت حصة الاسد كمصر نصيبا ضائلا كسوريا التي مثلها دكتور كامل عياد [4]

---

[1]- مصدر سابق ص 206.

[2]- قاسم سعد الله تجارب في الأدب الرحلة ص 235.

[3]- مصدر نفسه ص 237.

[4]- مصدر نفسه ص 240.

اما الجزائر فقد مثلها الدكتور رشيد بوريبه ببحث عن مصادر المسجد المدينة المنورة وصاحب هذه السطور التي القي بحثه المذكور (الرحلات الجزائرية الحجازية) ورغم أن الدعوات قد وجهت إلى العديد من الجزائريين إلا فإنهم اسباب لا نعلمها اهم سبب كان هو الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري والذي يحرمه من المساهمة في الندوات والمؤتمرات العالمية.

الدكتور سعد الله اكتفى فيما دونه عن رحلته هذه بتسجيل واستعراض جوانب من الندوة العلمية التي دعى اليها وما يمت لما يصله من زيارات وحفلات ومشاهدات والأحاديث والقراءات والزيارات خاصة التي ارتبطت بالحرمين الشريفين.

ثالثا رحلة ابو قاسم سعد الله لخنقة سيدي ناجي:

تعد من اولى رحلاته الداخلية نشرا وقد نشرها في مجلة سيرتا 1980 وقد كان الدافع الاول لزيارتها هو ما قرأه عنها في كتب الرحالة كالعياشي والورتلاني والقماري.

وكانت في يوم 8 فبراير 1980 توجهت بكرة الساعة السادسة صباحا رفقة الاستاذ علي باشا وهو مدير متوسط المختلطة في بسكرة والمنظم لهذه الزيارة الاستاذ ميموني العتيري والشيخ الاخضر الختافي إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة وكانت المسافة بين النقطتين حوالي 95 كلم) [1]

وأثناء زيارته للخنقة فقد اكتشف وعلم من الاخوان والسالمي فريدي وغيرهم من المراكز علمية بالخانكة في القديم.

ولم يخفي الدكتور سعد الله اعجابه انبهاره والعديد من العادات والتقاليد وحشني استضافتهم ولباسهم تقليدي بالمساجد الكبيرة ومدرستها وكذلك الاماكن الاثرية.

[1]- ابو قاسم سعد الله في كتابة تجارب الادب والرحلة ص 257.

المضامين الابداعية في رحلات ابي القاسم سعد الله :

المضمون الثقافي

من خلال تجربته وسفره إلى المغرب والجزيرة العربية الخنقه سيدي الناجي من اجل تحقيق هدفه وامنيته واشباع فهمه الثقافي وتطلع على الحضارات لهذه الاماكن والبلدان ففي رحلة إلى السعوديه التي دعا فيها للمشاركة في الندوة العالمية عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية رأى أن " انسب موضوع لهذه الندوة هو الكشف عن كتابة الجزائريين عن الجزيرة العربية من خلال البحث في الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني "[1]

فنجد ابو قاسم سعد الله كان هدفه هو البحث عن المخطوطات الرّحلية التاريخية في رحلاته الثلاث فكان يبحث ويتطلع في كل من المساجد والزوايا والكليات والمكتبات والجامعات...

وحتى كان يجالس ويجتمع بالعلماء والأدباء والمؤرخين والباحثين على موائد البحث وحيث لم ينسى مائدة الطعام الذي لم يخل من ملح ثقافة " التقيت بعدد من المغاربة والجزائريين وتحدثنا عن مستوى الثقافة في المغرب على عهد العثمانيين "[2]

ويقول ايضا " وقد أتاح له بعضهم التصرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي الاجتماعي " [3]

المضمون الديني ا لروحي:

من مميزات الاسلام وركن من أركان الاسلام الحج والعمرة وهي زيارة بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج من الاحترام والطواف الوقوف بعرفه فلكل مسلم فطريات تريد تحقيق امنية زيارة بيت الله الحرام لقوله تعال " أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " [4]

---

[1]- ابو قاسم سعد الله تجارب في الادب الرحلة ص 236.

[2]- مصدر نفسه ص 214.

[3]- مصدر نفسه ص 215.

[4]- القران الكريم سورة الحج الاية 27.

ويقول احمد شوقي :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم

لبيت طهور الساح والعرصات [1]

لم يصدق الرحالة أن حلمه قد تحقق وهو زيارة مكة والمدينة فقد كان شديد التأثر وهو يشاهد المسجد ويسير على تراب مكة والمدينة المنورة وهو امام مقام سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

المضمون الاجتماعي:

ابو قاسم سعد الله لم يفوت بحسه ودقيق في ملاحظاته أن يتناول اخلاق وآداب اهل المغرب والسعودية وخنقة سيدي ناجي في التعامل والادب والكرم وحتى في اسواق المغرب المتنوعة اما في العادات والتقاليد لم يكن شديد الاهتمام وقد سجل إلا ما رآه في الصدفة خاصة ما تعلق منها بلباسهم وازياءهم فهم دائمون في زيهم المحلي البرنوصي والقشابية [2] .

عند ابو قاسم سعد الله رحلاته مليئة بتصوير الواقع الاجتماعي للأماكن التي زارها ولأهلها وتنوع الاجتماعي والثقافي المغربي والخنقة وبلاد الحرمين والرياض التي رأى إنها " تشهد نهضة عمرانية ضخمه"[3] ويجد تقدم الحضاري فيها الذي يظهر في (المواصلات بين المدينتين متوفرة وسهلة والطرق المعبدة على أحدث طراز) [4].اما بالنسبة إلى زيارته لخنقه فقد قال إنها " فهذه المدينة القرية التي كانت عروسا اصبحت عجوزا[5] " فحالها يزداد سوءا ويتردى يوما بعد يوم..

[1]- احمد شوقي اعمال الشعرية كاملة ج 3 دار العودة بيروت 1988 ص 321.

[2]- ابو قاسم سعد الله تجارب في الادب و الرحلة ص 258.

[3]- مصدر نفسه ص 253.

[4]- مصدر نفسه ص 245.

[5] - مصدر نفسه ص 260

دوافع رحلات ابي قاسم سعد الله :

ان الدوافع التي تشجع الانسان، وتدفعه إلى الرحلة كثيرا ومتنوعة وتختلف من شخص لأخر فان ابي قاسم سعد الله كانت له اسباب ودوافع لاكتشاف هذه الرحلات التي قام بها حيث تعددت هذه الدوافع العلمية الاقتصادية، دينية وثقافية...

دوافع رحلة ابو قاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية:

كان لأبي قاسم سعد الله حافز قوي في الارتحال والاكتشاف. وله غرض وهدف معين وهو من الرحالة الذين لديهم شغف وطموح لتحقيق أمنياته فرحلته إلى الجزيرة العربية كانت بدافع علمي وديني.

الدوافع العلمية:

كانت الرحلة احدى الظروف التي يلجأ اليها لطلب العلم وملاقات العلماء والفقهاء ومحاورتهم والاستفادة منهم فالسبب الرئيسي لهذه الرحلة هي دعوته للندوة العالمية في الرياض تحت عنوان (دراسة التاريخ الجزيرة العربية).

وموضوعها البحث والدراسة في تاريخ ومصادر الدراسات وأثار الجزيرة العربية ففي خرجته إلى السعودية في هذه الندوة رأى أنه "أنسب موضوع لهذه الندوى هو الكشف عن كتابات الجزائريين عن الجزيرة العربية، من خلال البحث في الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني"[1]

دوافع دينية :

الدافع الديني لأبي قاسم سعد الله وهو نيل رضى الله وتحقيق الركن الخامس من الاسلام وهو الحج بيت وزيارة قبر رسول الله واستجابت بندائه الروحي قال: "الخاطر للسفر إليها استجابة لنداء روحي وحبّا في الدراسة والاطلاع.[2]

[1] أبو قاسم سعد الله، أدب الرحلة، ص236.

[2] مصدر نفسه، ص235.

فهي بلد الحرام "التي إنبتق منها لاسلام وصارت منها قوافل الجهاد تنشر القرآن الكريم والسنة النبوية في مشارق الأرض ومغاربها"[1]

دوافع رحلته إلى المغرب:

دوافع سياحية وثقافية:

وهذا الدافع غالبا في الترحال على غيرها من الدوافع الأخرى خاصة في العصر الحديث كحب التنقل والاكتشاف وتغيير المكان والاجواء لأبي قاسم سعد الله كان له تأمل في جمال طبيعة المغرب وتعرف على المسالك وطبائع وأثاره طعامهم ولباسهم والكثير من العادات والتقاليد لأهل المغرب وايضا تحدث حول زخرفة منازلهم والزخرفة الأصلية للمغرب.

ويقول أيضا: "وقد أتاح بعضهم التعرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي"[2]

دوافع علمية:

كان له هدف في البحث في المكتبات العربية من أعلى الطراز في الدار البيضاء "حيث توجد أحدث الكتب المغربية واللبنانية ولمصرية بمكتبات العربية"[3]

وأيضا شجع حركة التعريب بشكل واضح حيث قال "وتساند هذا التيار تقاليد الحضارية العريقة والعائلات الأثيلة كانت وما تزال تلعب دورا بارزا في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، ونخب المتوثبة تلفت ثقافتها في المغرب أو في المشرق وتقف إلى جانب التعريب كمطلب وطني"[4]

[1] مصدر سابق، ص236.

[2] مصدر نفسه، ص 214.

[3] ابو قاسم سعد الله تجارب الأدب الرحلة ص 222.

[4] مصدر نفسه، ص230.

دوافع رحلته إلى خنقة سيدي ناجي:

دوافع العلمية:

بحث عن المخطوطات والوثائق المكتبات والا انه لم يجد أجوبة مقنعة حولها وقد واصل بحثه لإيجاد معلومات أكثر حول هذه المخطوطات والوثائق، وكان اهتمامه فيها منصبا حول المعالم الأثرية والمراكز العلمية بخنقة سيدي ناجي وقادته جولاته فيها إلى كل زواياها ومساجدها بحثا عن الكتب القديمة والمخطوطات.

دوافع دينية:

تأثر سعد الله بآثارها القديمة كالزوايا الدينية والمساجد الكبرى وأيضا المدارس حيث شّغل سعد الله في خنقة بشيوخها وعلمائها وكذلك جوامعها "فالجامع الكبير مأثرة جميلة، فهو لم يكن لأداء الصلاة فقط بل مركزا لنشر العلم"[1]، فكان له تأثر خاص بجمالها وهندستها وما تحتويه أيضا من تواريخ المنقوشة في المساجد.

[1] ابو قاسم سعد الله تجارب الأدب الرحلة ص 261.

الفصل الثاني

الجوانب الفنية والبنية السردية في رحلات أبي القاسم سعد الله

- المبحث الأول: الجوانب الفنية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله.
- المبحث الثاني: مواضيع رحلات أبي القاسم سعد الله.
- المبحث الثالث: البنية السردية في رحلة أبي القاسم سعد الله.

الجوانب الفنية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله:

يعتبر أدب الرحلة من أهم الفنون الأدبية التي تميز بها الأدباء أثناء تنقلاتهم بحيث يتخذون من الرحلة موضوعا يغلب عليه الطابع الأدبي فيعني بذلك: "رصد الواقع ونقل الصور والمشاهد على نحو تحقيق التأثير الوجداني أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه..."[1]

إن المتأمل في كتابات سعد الله يكتشف تلك اللمسة الجوهرية الفنية التي يضيفها دائما إلى سجل الأدب الجزائري والتي تكاد لا تخلو من أسلوبه السهل الممتنع وصدق تعبيره فبطبع هو أسلوب المؤرخين والأدباء أمثاله فيقول: "هكذا تحقق لي أمل عريض عندما تخلفت في مطار المدينة مع وفد المغرب ... بينما توجهت بقية الوفود إلى العلا مدائن صالح كما كان مخططا"[2]. فالكاتب هنا انشغل برصد تجربته ومشاهداته بصدق وتدوين كل الأحداث بموضوعية لتحقيق الواقع الفني.

- أدب الرحلة لا يخلو في عمومه من المحسنات البديعية وعلى التصوير البياني ولكن عند سعد الله ظهر بأشكال مختلفة.
- أما البديع فنجده لا يرد كثيرا في نصوصه وكتاباته إلا ما كان عفويا لذلك يكاد يخلو من السجع أو الجناس أو الطباق غير أننا نجده يستعملها بين الحين والآخر.

ومن أمثلة عن الجناس في قوله "ولعلي أقدمه في مناسبة أخرى بشكل أبجدي يفيد المستفيد ويستزيد من المستزيد"[3]. فهذا التجانس بين لفظتي (المستفيد والمستزيد) وما تحدثانه من جرس موسيقي ناتج عن التقارب اللفظي والايقاعي للكلمتين وهو من جماليات النثر.

---

[1] حسين مؤنس. لبن بطوطة ورحلته: دار المعارف، القاهرة، 2003، نقلا عن مقالة الفردوس أحمدين 01-04-2016 مجلة اللغة، جامعة علي كرة الاسلامية (فنون أهمية الرحلة من الناحية الأدبية)، ص214.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص .248

[3] المصدر نفسه، ص 234

أما السجع فظهر في قوله: "أما في الزيارة الثانية للشيخ عبد الله الجراري فقد جمعنا فيها بين لذيذ الطعام وشهي الكلام"[1]

كما كان النص عند أبي القاسم سعد الله لا يفتقر التصوير الفني الذي يتضمن أنواع المجاز والتشبيه والاستعارة وغيرها لما لها من أثر وذوق بلاغي جميل يزيد الصورة وضوحا ودقة. وفي وصف جميل تتمثل فيه الاستعارة المكنية صور الكاتب حالة الجو المكتئب في الرباط حين يقول: "وفي أحد أيام الأحد غضبت شمسه وكثف ضبابه واشتعلت حرارته..."[2]، فتغييره هنا كان يلفظ الحزن والغضب.

ومن التشبيهات الواردة يقول سعد الله "وعلى بعد رأينا القطار كأنه خيط من الضوء يتحرك وسط الظلام الذي بدأ يلف الأفق من بعيد"[3] فوجه الشبه هنا تداخلت فيه طرفا التشبيه وتعددت كل عناصره من (ضوء، حركة، ظلام) لكي تظهر حركة القطار واضحة هنا.

وظف الكاتب الكناية باعتبارها تصويرا فنيا يجمع بين المجاز والحقيقة فهنا يصدف النخبة في المغرب لاهتمامها وطموحها بالمستقبل فقال: "ونخبة متوثبة بلقت ثقافتها في المغرب أو المشرق"[4] فهذا الوصف أطلقه الكاتب ليبين لنا الطموح وحب التطلع.

لم يفوت سعد الله صفحة ولا مقطعا من نصوص الرحلة إلا وقد زينها بلون من التصوير الفني الذي ترك لمسة سحرية في كتاباته ومدوناته. كما نلاحظ ذلك في لغة الرحلة عموما في جمال اللفظ وحسن التعبير خاصة اللذان إعتلى بهما درجة الدقة والتفصيل، فقد طهر الوصف بنوعيه (المادي والمعنوي) ومن أمثلة الوصف المادي قال: "رأيت شخصا كبير السن طويل القامة أبيض البشرة مرتديا ثيابا مغربية خفيفة بيضاء وحذاء أصفر جالسا في ناحية منعزلة"[5]، هنا تجسد وصفه المادي في ذكره لصفات الشيخ بنوع من الجمود.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص224.

[2] المصدر نفسه، ص 228

[3] المصدر نفسه، ص 227

[4] المصدر نفسه، ص 230

[5] المصدر نفسه، ص 212

وكمثال آخر في وصفه للجامع حيث قال "وصلت إلى جامع السنة... وهو جامع ضخم وحديث مبني على الطراز الأندلسي..."[1]

أما بالنسبة للوصف المعنوي كان أقل ظهورا في كتابات سعد الله فقد وظفه في وصف الشخصيات التي سنحت له الفرصة بالتعرف عليهم فقط مثل قوله "معظم المغاربة المثقفين يعرفون الأستاذ المنوني. يعرفونه حيا عاملا في صمت ويعرفونه كذلك مؤلفا باحثا خبيرا بالمخطوطات وأستاذا..."[2]. فقد ربط سعد الله هنا في وصفه بين صفات هذا المغربي وبين عمله وتجربته في العلم من أجل التعريف بهذا الرجل في جمل قصيرة وسهلة.

وفي مثال آخر قال "كان طقس الرباط أكثر لطفا من جو العاصمة الجزائر ..." فهنا نفسر هذا القول بأنه أتى كمقارنة جميلة بين الجزائر والرباط وتأثر الرحالة أكثر بهذا الجو ...

أما نمط الكاتب فنجده يتجسد من خلال التنويع بين السرد والوصف والحوار. رغم غلبة النمط السردي والوصفي على الحوار. حيث قال "كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلا الشفق وطلع من الشرق القمر الذي أخذ يكبر وظهرت النجوم في السماء والمصابيح في الأرض..."[3]، كما يقول "تذكرت رجال الفتح ورجال السلطة الذين خلفوهم، تذكرت الماضي والحضر فاغرورغت عيناي وصدمت في وجوم ... لقد أضعنا أشياء لا تعوض قلت: يكفي إنني أعيش الآن في عصر آخر دعني أتأمل دعني ..."[4]

لقد أصاب سعد الله في الانتقال بين هذه الأنماط فبدأ بوصف المدينة ليدخل في السرد ثم في حوار مع صديقه.

كما غلب على أسلوب الكتابة الخبر والذي يعد الأنسب في نقل الوقائع والمشاهد فهو يطبق على كل الأنماط خاصة السرد والوصف ونادرا ما نجد الانشاء إلا ما كان ضروريا

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 208.

[2] المصدر نفسه، ص 213

[3] المصدر نفسه، ص 226

[4] المصدر نفسه، ص 227

ومن الخصائص الأخرى في أدب الرحلة نجد الاستشهاد بالأبيات الشعرية أو الاقتباس من القرآن الكريم والكاتب لا يستعمل هاتين الخاصيتين إلا من أجل إبراز أدبية وشعرية نصه الرحلي.

غير أنهما تكادان تغيبان في رحلات سعد الله وذلك لميوله إلى التاريخ فكل رحلاته أو أغلبها جاءت من أجل إتمام مشروع بحثه العلمي (تاريخ الجزائر الثقافي).

ومن أمثلتهما: نجد اقتباسه في الحديث لقوقه: "ذلك هو المجتمع الاسلامي الذي أراده الرسول "ص" ... فإن أهله يجتمعون حول الكعبة في كتلة مترابطة لا فضل فيها لعربي ولا لعجمي إلا بالتقوى"[1]، فهذا الكلام مأخوذ من حديث النبي "ص" أجاد فيه بالربط بين كلامه وكلام رسول "ص".

وقد استشهد أبو القاسم أيضا بالشعر فقد اختصرها في قوله: "تفريع هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد"[2]

فإذا ترصدنا رحلات سعد الله نجده محسنا في توظيفها وموقفا في ارتقاءها فكان له أسلوب بسيط ومتنوع.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 251.

[2] المصدر نفسه، ص 205

مواضيع رحلات أبي القاسم سعد الله:

1) رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب: 29 يوليو 1973م

دامت رحلة أبي القاسم سعد الله حوالي عشرين يوما، قال: "زرت المغرب ومنذ أمد طويل والأمنية تراودني لزيارة هذا البلد الذي تربطني به أكثر من رابطة ... فنحن والمغاربة نتحدث كثيرا عن الماضي المشترك ونتطلع أكثر إلى مستقبل واحد ونتدارس تاريخ بعضنا في المدارس والجامعات ..."[1]

فقد وصف سعد الله شوارعها ومطاراتها وجميع مراكزها الثقافية وبناياتها وأضرحتها وكل من كان يصادفه أثناء تواجده في المغرب معبرا عن إعجابه فوصف أهلها وأصدقاءه وأحبابه ومعارفه وكل من صادفهم أو اجتمع بهم سواء في بيوتهم أو أثناء تنقلاته بالمغرب ذكرا كل من صاعده في بحثه حول تاريخ الجزائر الثقافي معترفا بفضلهم وجميلهم مثل: عباس الجراري، عبد الكريم المنوني، الكثاني ...

2) رحلة أبي القاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية: أبريل 1977م

سافر أبي القاسم سعد الله إلى السعودية لحضوره الندوة العالمية لمصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية في أبريل 1977م وقد عبر بذلك عن استعداده الروحي الداخلي لقصد البلاد الاسلامية قائلا في ذلك "السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر إلى أي جهة أخرى ... فإنك تستعد قبل كل شيء استعدادا روحيا"[2]، وقد ذكر في رحلته هاته يومياته التي غلبت عليها مظاهر الحياة التي يرصدها ولكنه ركز في رحلته هاته بتسجيل جوانب من الندوة العلمية التي دعي من أجلها وكل ما يتصل بها من أحاديث وزيارات خاصة.

التي ارتبطت بالحرمين الشريفين والحفلات الدينية كما أنه لم ينس إعجابه بالتطور الحضاري والعمراني التي تشهده البلاد. كما عرف بعضا من شخصياتها وكذلك أماكنها

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 205.

[2] المصدر نفسه، ص 235

الأثرية ومكتباتها متعجبا لحسن التنظيم والضيافة التي حضي بها من طرف السعوديين والترحيب له.

3) زيارة سعد الله لخنقة سيدي ناجي: 8 فبراير 1980

تعتبر زيارته لخنقة سيدي التاجي من أولى رحلاته الداخلية نشرا وقد نشرها في مجلة سيرتا 1980م فكانت بداية رحلته من بسكره إلى خنقة سيدي ناجي. قال "توجهت بكرة الساعة السادسة صباحا إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة مرورا بزريبة الوادي وبعض القرى"[1]. حيث أن رحلته إليها أكسبته طابعا سياحيا وثقافيا فتطلع سعد الله ذاكرا كل الأماكن التي زارها والناس الذين التقى بهم متحسرا على ما أحل بها وبأوضاعها إبان الثورة من طرف الاستعمار الفرنسي.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 258.

البنية السردية في رحلة أبي القاسم سعد الله:

لا يخفى على الباحثين اليوم أن كلمة البناء أصبحت كلمة مفتاحية منتشرة في جميع مجالات المعرفة، توظف عند الحديث عن العلاقة بين العناصر التي تكون شيئا ما، ما يعني أن البنية في أبسط معانيها هي استخدام مجموعة من الوحدات بنظام معين يرتكز في الأساس على مظاهر الاتساق والانسجام وعلى هذا الأساس يمكننا تعريف البناء الفني بأنه الطريقة التي ننتجها لاستخدام العناصر المكونة للعمل الأدبي والكيفية التي نخلق من خلالها الاتساق بين أجزائه، والانسجام بين جميع مكوناته حتى نرقى بهذا العمل إلى مرتبة تسمح له لاكتساب صفة الأدبية.

تعريف السرد:

هو ذلك النوع من المفهوم الأدبي الشديد الاتصال بالنشر ، والسرد هو تلك الثمرة التي أنتجت من خلال عناية الكاتب لفكرته ، وهذا الأسلوب هو أحد أساليب الرسالة الإنسانية الأبرز لدى الكتاب بل أنه هو الأكثر استمتاعاً لدى القراء ، ولهذا الأسلوب مكانة كبيرة ، وأهمية عالية في الأدب ، وبشكل عام على الرغم من كثرة تلك الأساليب المستخدمة في الأدب لكن المهم هو ذلك الكاتب المبدع الحقيقي الذي قام بإعطاء أسلوب الكتابة معنى ، وجمالاً ، وذلك من خلال ما يقوم بتقديمه من خلال الكتابة ، وإظهار ما يجوب ويدور في داخل نفسه بها .

وكتعريف آخر للسرد ننطلق من أصله اللغوي فهو يعني مثلا سرد مفاهيم متعددة ومختلفة تنطلق من أصله الغوي فهو يعني مثلا" تقدمة شيع إلى شيع تأتي به مشتقا بعضها في اثر بعض متتابعا، وسرد الحديث أي يسرده سردا إذا تابعه وفلا يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق وفي صيغة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سرداً، أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القران تابع قرائته في حذر منه.[1]

1 ابن منظور: لسان العرب، مادة (سرد)، ص 165.

أنواعه:

ينقسم السرد إلى ثلاثة انواع

1. السرد من زاوية المتكلم :ويقصد به ناقل الخطاب اللغوي وهو ذلك النوع من الأسلوب السردي الكاشف عن أسرار صاحبه و نفسيته الخاصة به
2. السرد من زاوية المخاطب:و هو المقصود به المتلقي للخطاب اللغوي و هو ذلك الأسلوب الخاص بالضغط الذي يتلقاه المخاطب وهو عبارة عن ذلك الاسلوب السردي المقصود منه إضافة جميع الملابسات الكفيلة بإحداث التأثير الذي يهدف الفكر ان يحدثه في المتلقي للخطاب اللغوي
3. السرد من زاوية الخطاب :وهو المقصود به الطاقة التعبيرية الناجمة عن الألفاظ اللغوية المختارة ويكون من شأنه إخراج العبارات من حالة الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه و معبرا عن ما يدور به

وكمثال على أنواع السرد نستشهد من الآية الكريمة في قوله تعالى :"أم حسبت ان أصحاب الكهف و الرقيم كانو من آياتنا عجبا (9) إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالو ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيىء لنا من أمرنا رشدا(10)"[1]

حيث أن الأفعال (حسبت كانو اوى آتنا .....)كلها أتت متعلقة بالسرد.

تخضع الرحلة لبناء معماري يكاد يكون واحدا من حيث اعتمادها على عناصر لا تكاد الرحلة تخلو منها، ونعني بذلك العنوان، والمقدمة، والوسط والخاتمة، إلا إنها تبقى إنتاجا سرديا حرا، لا يتقيد فيها الرحالون ببناء فني واحد كما هو الحال في الرواية والقصة وغيرها من الفنون السردية التي حدد لها دارسوها والمهتمون بها في العصر الحديث مقوماتها الفنية التي تبنى عليها ويبدو أن عدم التقيد ببناء فني واحد في الرحلة، مراده إلى تعدد أنواع الرحلات واختلاف سبل تعامل الرحالين مع مكوناتها، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود عناصر مكونة

1 سورة الكهف الآية (9-10)

للرحلة يمكن أن تكون بناء فنيا، ونعني بهذه العناصر الأحداث الشخصية، وبنية الزمان والمكان ومستوى اللغة وهي العناصر التي يمكننا أن نقيم على أساسها دراسة من خلال البحث في كيفية تعامل الرحالة مع هذه العناصر أثناء كتابة الرحلة.

الأحداث:

من المعلوم أن الأحداث مرتبطة بالسرد باعتباره عملية ترتيبية لمجموعة من الأحداث ينتظمها إطار معين وتخضع لخاصية شكلية تميزها عن أنواع الخطاب الأخرى كالشعر والنقد والمسرح[1].

وكما أنه لا تخلو أي رحلة من الأحداث والتي تمثل المحرك الأساسي لها فالحدث من العناصر الفعالة في البناء السردي ويلعب دورا هاما في بناء الرحلة فالرحالة يسرد الأحداث الواقعية فيمكنه أن يحذف ويضيف من خياله الفني ما يجعلها شيئا مميزا.

أول رحلة خارجية لأبي القاسم سعد الله كانت نحو المغرب الأقصى والتي عنونها بـ "رحلتي إلى المغرب".

سافر أبو القاسم سعد الله من الجزائر عبر طائرة تونسية فوصف احساسه وهو يحلق في الأجواء المغربية ويتعمق في المناطق الداخلية بالمغرب فقال: "عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ بالهبوط بمطار "النواصر" شعرت عندئذ أن الطائرة كانت حمامة سلام ووحدة بين الأقطار الثلاثة "فشعر باتحاد دول المغرب العربي. ليستقل بعدها سيارة أجرة إلى الرباط فوصف حينها ليلها أثناء سقوطه يعكس فيه احساسه الفني وميوله الأدبي، فيقول "بدأت أنوار المدينة تتلألأ بعضها يشكل أسهما وبعضها يشكل دوائر وبعضها ينافس نجوم الليل ويروق العواصف"، كما قال بأن اللغة العربية فيها تنافس الفرنسية وكانت الألوان متعددة والأشكال هندسية تكاد تخطف الأبصار"[2]

لينتقل في اليوم التالي إلى "المكتبة الوطنية" والتي تعد الهدف الأساسي والجوهري في رحلته فتحدث عنها وعن موقعها حيث وجد فيها كل التسهيلات التي لم يكن يتصورها فالتقى

[1] حسين خمري، فضاء المنخيل، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1 2020، ص 83

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 206.

فيها بعض الأساتذة الجامعيين عبد الكريم وعباس الجراري هذا الأخير أخذ الرحالة أبي قاسم سعد الله في نزهة بسيارته في مدينة الرباط ليطلعه على الجوانب الحياتية المختلفة حيث وصفها بقوله "مدينة تجارية بمعنى كل كلمة ففيها الشركات والبنوك المغربية والأجنبية بأعداد ضخمة"[1].

لقد اعتمد الكاتب في سرد أحداث رحلته على يومياته التي يمر بها كل يوم وصف فيها مشاعره وأحاسيسه ولقاءاته التي جمعته ببعض الأساتذة حيث قال: "وعند عودتي إلى الجزائر نظرت في هذه اليوميات فوجدت فيها ما يصلح للنشر وما لا يصلح للنشر إلا بعد انقضاء جيل من هذا"[2]، ولتماثل القسمين في اليومية الواحدة فضل سعد الله أن ينسجها نسجا أخرا معتمدا على الحادثة في حد ذاتها.

معتمدا فيه على الأحداث والمناسبات الثقافية والمتصلة بها وقد ذكر بعض المخطوطات في رحلاته التي تهم بعض الباحثين في المغرب العربي والمشرق ذاكرا عادات وتقاليد كل مجتمع والبلد المنتمي إليه.

أما رحلته الثانية كانت إلى السعودية عنونها بـ "رحلتي إلى الجزيرة العربي" ويذكر بأنها جاءت لهدف علمي أساسا ثم هدف ديني بالخصوص بعد زيارته لمكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة الرياض والعاصمة السعودية.

بدأت طائرة من الجزائر في الذهاب حوالي الساعة السادسة توجهت بهم إلى مطار جدة حيث قضى ليلته في مقاعد المطار من أجل استئناف رحلته على أول طائرة إلى الرياض[3] وقد استغرقت حوالي ساعة وفي اليوم نفسه الذي افتتحت فيه الندوة العالمية الأولى الخاصة بمصادر تاريخ الجزيرة العربية حيث ذكر الكاتب حسن استقبالهم وهم على تعب ومشقة كما أنه ذكر غياب المشاركة الجزائرية مقارنة ببلدان أخرى عربية فيقول "رغم أن الدعوات قد وجهت إلى عدد آخر من الجزائريين فإنهم لم يشتركوا لأسباب لا نعلمها ولكن يبدوا أن

[1] المصدر نفسه، ص 222.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 204.

[3] المصدر نفسه، ص 239.

أهم سبب كان وراء ذلك هو الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري والذي يحرمه من المساهمات في الندوات والمؤتمرات العالمية وتمثيل بلاده في أحسن تمثيل.

كما صرح الكاتب أن تاريخ الجزيرة العربية يهم كل الحاضر ين ويهم الغائبين وكل المسلمين لذلك كان التعمق فيه والاهتمام به بكثرة، فقد تنوعت الأبحاث واختلفت مستوياتها فقد تناول الباحثون مختلف العصور فلم يتركوا حجرا أثريا إلا حفروا تحته ولا حرفا لغويا إلا تتبعوه ولا مخطوطا إلا حققوه ولا ظاهرة اجتماعية إلا نفذوها ولا موقفا سياسيا إلا حللوه وعللوه[1].

كما حرص وفد المغرب العربي على زيارة المدينة المنورة حيث رأى الرحالة في زيارته للمدينة تحقيقا لأمل عريض فشعر بالفرح الطمأنينة حيث قال:" لم أكن اصدق أنني أسير على تراب المدينة وانظر إلى جبالها ونخيلها وعمرانها".

ومن المدينة انتقل إلى جدة قاصدا مكة وهو في فرحة تغمره متأثرا في مشاهدة هذا المكان فقال:" لا أستطيع في هذه العجالة أن أصف المشاعر التي غمرتني وأنا اشاهد المسجد من بعيد وأنا أدخله من قريب وكذلك عندما كنت أقف عند الضريح الطاهر"[2] فالرحلة رغم طابعها الثقافي اكتسبت ضلالا دينية بمشاعر الكاتب وانطباعاته عند تنقله في المدينة أو مكة المكرمة.

ثانيا: الشخصيات:

تبنى الرحلة على مجموعة من الشخصيات على رأسهم الرحالة باعتباره المحور الرئيسي التي تدور حوله الاحداث وهو العنصر الاساسي في الرحلة، بعده الشخصيات الثانوية وسلوكهم وتصرفاتهم وقيمهم وميولهم ورغباتهم.

إلا أن الرحالة يقوم بنقل مشاهدها ورواية تفاصيلها مخبرا تارة فيها ومعلقا تارة أخرى.

تظهر لنا شخصية أبو القاسم سعد الله شخصية مثقفة وباحثة وطموحة ورجل دين واصلاح وهذا ما ظهر عليه عند زيارته لمكتبات المغرب ورؤية الباحثين من أجل زيادة في

[1] المصدر نفسه، ص 241.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 249.

المعرفة حيث يقول "كنت حريصا أثناء اقامتي بالمغرب على توفير كل وقتي للبحث الذي جئت من أجله"[1].

فقد سنحت له الفرصة أن زار عدة مكتبات وألقى عليها نظرة حافظة فيقول "ذهبت رفقة بعض الأعضاء إلى مكتبة جامعة الرياض وتضم قسم المخطوطات وقسم المطبوعات إلى جانب قسم الوثائق الذي قضيت فيه معظم وقتي" فقد صرح أبي القاسم بانه وجد كل التسهيلات التي لم يكن يتصورها هناك"[2] فقد عثر الرحالة على أخبار علمية عن موضوع كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) ولكن النصوص والوثائق التي كان يبحث عنها خصوصا رحلة أحمد بن عمار ورحلة عبد الرزاق بن حمادوش لم يجد لها أثر.[3]

كما نلاحظ أن للرحالة دراية كبيرة بالكتب القيمة والقديمة حيث قال: "دخلت أتصفح بعض الكتب فوجدت نسخة مجلدة سليمة من كتاب تحفة الزائر للأمير باشا في طبعته الاولى 1903م [4] وما يبرز أيضا مكانته العلمية ولقاءاته المتكررة مع الأستاذة والباحثين مثل: "الدكتور عباس الجراري الذي التقى به في دمشق سنة 1971 أثناء مؤتمر كتاب العرب فأهداه الجراري كتابه عن الرجل في المغرب – القصيدة. الذي نال به شهادة الدكتوراه في الآداب في مصر ط. المغرب 1971 ص 715 فقال الرحالة " ففي أحد الأيام أقام لي الجراري مأدبة غداء دعا إليها أصدقاءه وأصدقائي الأساتذة محمد براءة الذي تحصل على شهادة الدكتوراه والدرجة الثالثة في النقد الأدبي وابراهيم السولامي الذي أعد رسالته لنيل الدكتوراه الدور الثالث عن (الشعر الوطني المغربي).

[1] المصدر نفسه ص 209.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 209.

[3] المصدر نفسه ص 252

[4] المصدر نفسه ص 214

وعبد الملك مرتاض رئيس قسم اللغة والثقافة العربية بآداب جامعة وهران كما ذكر أبي القاسم سعد الله بأن وقت بحثه وإقامته في المغرب كان وقت عطلة ومع ذلك التقى بعدد من المغاربة الجزائريين هناك بطريق الصدفة ومنهم الأستاذ الكتاني والذي هو عضو فعال في الخزانة العامة وقد أهداه بعض اعماله:[1]

1- أبو عبد الله المناصف المجتهد المغربي فصله من مجلة (الباحث) عدد2 1972م الصفحة 1-72.
2- العثور على الورقات الأخيرة من كتاب البيان المغربي لابن عذاري المراكشي، فصله من مجلة (تيطوان) عدد 1965، 10 ص 237-244.
3- سلفية الامام مالك دراسة في 39 صفحة (دون ذكر مكان طبعها ولا تاريخ).
4- بمناسبة مرور 20 سنة على تأسيس جمعية العلماء دراسة في 8 صفحات على الآلة الراقنة نشرها في جريدة (العلم) المغربية سنة 1971.
5- بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي موقع من 500 شخصية مغربية الرباط سنة 1970 الصفحة 45.
6- واجب الامة نحو تاريخها وأبطالها نبذة في 4 صفحات مع الألة الراقنة عن حياة المرحوم الابراهيمي.
7- صورة تذكارية بتاريخ 1955 بمدينة الجزائر.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 209.

كما ظهرت شخصية الرحالة سعد الله متدينة محبة للإسلام فشخصيته هنا كانت متعايشة مع الأماكن المقدسة سواء كانت الأضرحة أو المساجد وكذلك حديثه عن ذلك فيقول: "... وفي جامع محمد الخامس الملحق بضريح شيخ يقرأ القرآن بصوت مرتفع ... إنها ذكرى خالدة وموقف يدعوا إلى التأمل ... تذكرت الماضي والحاضر فاغرورغت عيناي وصمت في وجوم"[1].

وتظهر لنا شخصية سعد الله اجتماعية تراعي لأحوال الناس والمجتمعات المغربية وشبه الجزيرة العربية فقال: "كان المغاربة يجلسون كما في العهود السالفة يشربون الشاي أو القهوة ويلعبون الورق"[2]

وفي الأخير نجد سعد الله محب لجمال الطبيعة ويتمتع بمناظرها في كل الأماكن التي زارها إلا وهو يصف لنا فيقول: "ورأينا على بعد قريب شعلة بترول تلتهب عالية بحذاء المحيط فكانت تعطي لسكون الليل وظلامه لونا خاصا، وكان القمر على يميننا طول الطريق يؤنسنا بتألقه وشموخه وكأنه كان يتحدى جميع الأضواء ..."[3]

بنية المكان:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن مكان والمكانة واحد... والمكان الموضع والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعلا لأن العرب تقول: "كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك فقد دل على أنه مصدر من كان أو موضع منه ..."[4] ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن لفظة المكان تعني الموضع الثابت أو المنزلة والمكانة فالمكان الذي انطلق منه الرحالة يعد نقطة البداية، وهو ما استعان به سعد الله في المقارنة بين الجزائر والرباط وكمثال على ذلك في قوله: "كان طقس الرباط أكثر لطفا من جو عاصمة

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 210.

[2] المصدر نفسه ص 227.

[3] المصدر نفسه ص 223-224.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مج 13 دار صادر بيروت لبنان، ط1 –دت-، ص 412

الجزائر الرطب"[1] وفي هذا القول يقارن الرحالة جو الجزائر بجو الرباط من أجل اكتشاف علامات التشابه والاختلاف بين المدينتين. أما في رحلته إلى الجزيرة العربية نجد سعد الله يذكر التفاصيل عن مكان المنطلق منه حيث يقول: "الطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر كانت قادمة من المغرب وقد توقفت بنا في مطار تونس ومطار طرابلس ومنه مباشرة إلى مطار جدة"[2]. وهنا على حسب قوله فإنه يحيل لنا مكان انطلاق الرحالة سعد الله في زيارته لعدة أماكن من أجل البحث. ففي زيارته للمغرب كان دافعه البحث عن كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" وهنا قدم لنا العديد من الأماكن والمدن كالرباط والدار البيضاء، واصفا بذلك مكاتبها ومرافقها العمومية وأسواقها التجارية وحتى أماكنها المقدسة التي سنحت له الفرصة من أجل زيارتها فتطرق بتدوينها من خلال رحلته.

فقد تجسد ذلك في زيارته للمكتبة الوطنية باحثا فيها عن المخطوطات التي تدعم بحثه فقال فيها "توجهت إلى الخزانة العامة بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها ... إلى جانب قسم المطبوعات يوجد قسم الوثائق والمخططات الذي هو ضالتي ... وفي قسم الوثائق قضيت معظم وقتي"[3] نكتشف من خلال هذا النص أن سعد الله قد أفاض حديثه عن المكتبة التي وجد فيها عدة أمور سهلت عليه بحثه وأنه كان على دراية مسبقة بهذا المكان فوصفها وصفا دقيقا بالإضافة إلى ذلك فإنه تطرق إلى زيارة عدة مكتبات نذكر منها (مكتبة الطالب) لعبد القادر المكناسي الواقعة في شارع محمد الخامس إذ وجد فيها العديد من الكتب القديمة والحديثة.[4]

كما نجد في حديثه عن رحلته إلى الجزيرة العربية فيذكر هنا المكان أي مدينة الرياض (السعودية) فيقول "السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر إلى أي جهة أخرى فإن كنت في بقية الأسفار تستعد ماديا للسياحة أما بالنسبة للجزيرة العربية فإنك تستعد قبل كل شيء

[1] ابو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 208.

[2] مصدر نفسه، ص 238.

[3] مصدر نفسه، ص 209.

[4] المصدر نفسه ص 2014

استعدادا روحيا مهما كان غرضك المادي من السفر"[1] فهنا أول إلينا الرحالة فكرة استجابة نداء روحه الداخلي وحبه وتمسكه بالدراسة والاطلاع، فقد سجل سعد الله كعادته في كل بلد يزوره يوميات وانطباعات ومشاهدات تنظم جميع مظاهر الحياة التي يريد أن يصل إليها الباحث العلمي.

لقد قصد سعد الله أماكن تاريخية حيث روى فيها أحداثا جرت في زمن الماضي وكان الهدف منها التنويع في كتاباته بين الزمنين، ففي رحلته إلى المغرب استرجع ماضي مدينة الرباط أثناء الاستعمار الفرنسي وقد توقف على بعض المدارس والأحياء التي سميت إبان الثورة من طرف الاستعمار الفرنسي، كمدرسة الناصرية (مدرسة وجامع سيدي مبارك)[2] الذي توقفت عن نشر العلم منذ الاحتلال الفرنسي وحارة اليهود القديمة كلها أماكن تاريخية لها علاقة بتاريخ المدينة فقد حرص الكاتب على زيارة هذه الأماكن الأثرية للتعرف عليها أكثر.

البنية الزمانية:

الزمن هو البداية التي تنطلق منها الرحلة حيث تتعلق بكل تفاصيل في بداية الرحلة تحضيرات السفر ... إلخ، وعند نهاية الرحلة أيضا نجدها تنتهي بزمن من أجل الرجوع أو العودة إلى مكان الأول أي المكان المنطلق منه فالزمن هو أكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركتنا غير أننا لا نحس به ولا نراه ولا نسمع بحركته الوهمية على كل حال[3]، فبالنسبة لأبو القاسم سعد الله فقد حدد زمن رحلته بذكر انطلاقه وذلك بتعيينه اليوم والشهر والسنة. ظهر زمن الرحلة لأبي القاسم سعد الله واضحا في قوله: "زرت المغرب لأول مرة خلال الصيف الماضي من (29 يوليو إلى 19 أغسطس 1973 ..."[4]، وقد استغرقت الرحلة على طائرة البوينغ التونسية بين مطار الدار البيضاء ومطار النواصر بالمغرب حوالي ربع ساعة.

---

[1] ابو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 235.

[2] المصدر نفسه ص 264.

[3] عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية ص 173.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ص 205-206.

وكانت تطير بمحاذاة البحر ثم حوالي منتصف الطريق تعمقت في المدن الداخلية بالمغرب وكانت الساعة تشير إلى السادسة والربع ...". وهنا نستنتج أن الرحالة ذكر بالتفصيل كل الزمن الذي قضاه وهو على متن الطائرة مختصرا كل هذه المسافة الزمنية. يقول الرحالة: "قد بدأت تسجيلاتي من مطار الجزائر ذهابا إلى مطار جدة عائدا، فقد كان سفري يوم 21 أبريل صباحا سنة 1977 ..."[1]

تميزت رحلات سعد الله بسرد دقيق فذكر كل التفاصيل حتى أماكن توقفه من أجل إفادة القارئ وكتوضيح له حيث يقول "والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر سعودية. كانت قادمة من المغرب وقد توقفت بنا في مطار تونس ... ومطار طرابلس ... ومنه مباشرة إلى مطار جدة"[2] وعند وصوله قال "وصلنا مطار جدة حوالي الحادية عشر والربع مساءا بالتوقيت المحلي" ... فهنا يذكر لنا سعد الله زمن وصوله والساعة بالضبط.

وفي شهر مايو 1977 يقول سعد الله: "صليت الصبح في الحرم المكي ثم أكتريت سيارة حملتني إلى جدة رفقة زميلي المغربي ... وفي أقل من ساعة كنا في جدة ... وكان من المفروض أن نصل إلى مطار جدة حوالي السابعة صباحا لكننا بكرنا فوصلنا حوالي السادسة ..."[3]

وفي زيارته لخنقة سيد ناجي قد حدد الرحالة تاريخها فقال: "في يوم 08 فبراير 1980 توجهت الساعة السادسة صباحا... إلى خنقه سيد الناجي انطلاقا من بسكرة وكانت المسافة بين النقطتين حوالي 95 كلم... وفي الطريق مررنا بإزاء مدينة سيدي عقبة وزريبة والوادي وبعض القرى الأخرى ولم يبق بيننا وبين ليانة سوى بضع كليمترات وحين اقتربنا من خنقه كاد جبل شرشار يسد الطريق في وجوهنا"[4]

عند تأملنا لرحلة سعد الله نجدها قد وردت في زمن الماضي حيث نسبها إلى ضمير المتكلم (الرحالة) وتارة إلى الجمع كانت مسبوقة بجمل فعلية فهنا نلاحظ أنه في بعض الأحيان

[1] ابو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 237.

[2] المصدر نفسه، ص 238.

[3] المصدر نفسه، ص 254

[4] المصدر نفسه، ص 257.

يذكر لنا اليوم والشهر والسنة ونجده تارة أخرى يذكر اليوم فقط ويركز على وصف الأحداث وكمثال على ذلك قوله: "وفي الصباح خرجت حوالي الساعة السادسة والنصف من الفندق وشرعت في التجوال"[1].

[1] ابو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 257.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يمكننا القول بأن أدب الرحلة جنسا أدبيا يصور فيه الكاتب مشاهد وحقائق ما جرى من أحداث صادفته أثناء رحلته وهي قدر الإنسان منذ أن خلق وستبقى مما يزيد من قيمتها إنها فن مفتوح له قابلية احتضان جميع العلوم والمعارف ومن خلال دراستنا لهذا الفن الأدبي عند الرحالة الجزائريين وبالتحديد عند أبي القاسم سعد توصلنا إلى النتائج التالية:

- تصنف الرحلة إنها نوع من الأنواع الأدبية يصور فيه الرحالة مما شاهده من المشاهدة الحية والتصوير المباشر.
- ادب الرحلة ينقل لنا الرحالة كل ما سمعه وما وقع عليه بصره فهو سجل حقيقي بمختلف المعلومات.
- إن رحلات أبي قاسم سعد الله بمختلف اتجاهاتها قد رصدت تنوع المعالم الحضارية في الجوانب الحياة في البلدان التي قصدها وعكست المجتمع وعاداته.
- إن المضامين الإبداعية والدوافع لهذه الرحلات باختلافها تتفاوت من رحلة إلى أخرى. فالرّحلات أبي قاسم سعد الله الداخلية تزخر بالقيم الاجتماعية والدينية والتاريخية بينما رحلته إلى المغرب تزخر المضامين والقيم الثقافية الفكرية والاجتماعية.
- إن الرحلات الجزائرية بمختلف اتجاهاتها رصدت تنوع من معالم الحضارية وعكست أحوال المجتمع الجزائري من عادات وتقاليد
- إن الأدب العربي عامة والجزائري خاصة قد تميز بالرحلة وأدبها لأهميتها في الحياة الإنسانية وذلك لتعدد رحلات الجزائريين خاصة في العصر الحديث
- يعد أبو القاسم سعد الله مؤرخا وأديبا ورحالة يمتاز بالحس الموضوعي والإحساس الفني الذي تجلى معظمها في كتاباته العلمية الدقيقة
- كان جل ما اهتم به سعد الله في رحلاته والذي شغل باله هو البحث عن المخطوطات والكتب وجميع المعلومات من أجل إتمام مشروعه المتعلق (بتاريخ الجزائر الثقافي)

- إن أدب الرحلة الجزائري تمكن من حفظ الكثير من التراث الجزائري والعربي حيث نقلهما الرحالة بصورة واقعية حية صور فيها بعض مظاهر الحياة أو بالأحرى جميعها من عادات وتقاليد ومعتقدات

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا البحث وأن يكون ثمرة جهدنا ولو بالقليل من أجل التعريف بالرحلة في الأدب الجزائري وفي أدب أبي القاسم سعد الله متمنيتان من الله عز وجل التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- 12نواب الدكتور عواطف بنت محمد يوسف كتب الرحلات في المغرب الأقصى دار الملك عبد العزيز لرياض 2008.

2- إبراهيم مصطفى في معجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية .

3- إبن فارس معجم المقاييس اللغة تحقيق عبد سلام هارون ج2 دار جبل بيروت 1991.

4- ابن منظور لسان العرب "11"دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

5- ابو قاسم سعد الله "حياتي" عالم المعرفة لنشر والتوزيع المحمدية طبعة خاصة 2015.

6- أبو قاسم سعد الله تجارب في الأدب الرحلة المؤسسة الوطنية لكتاب شارع زيغود يوسف الجزائر رقم النشر 1073/82.

7- أحمد أمين مصطفى الحياة في القرن الثامن الهجري تصورها رحلة ابن بطوطة مطبعة السعادة ميدان أحمد ماهر .

8- أحمد شوقي أعمال الشعرية كاملة ج3 دار العودة بيروت 1988

9- الإمام الشافعي محمد بن ادريس ديوان الإمام الشافعي جمعه وحفظه اميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي بيروت 1996.

10- بلغيث محمد الأمين رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين ابو قاسم سعد الله بأقلام أحبابه بصائر الجديدة لنشر والتوزيع باب الزوار جزائر 2014.

11- حسين خمري، فضاء المنخيل، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1 2020.

12- حسين مؤنس. لبن بطوطة ورحلته: دار المعارف، القاهرة، 2003، نقلا عن مقالة الفردوس أحمدين 01-04-2016 مجلة اللغة، جامعة علي كرة الاسلامية (فنون أهمية الرحلة من الناحية الأدبية).

13- سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا مكتبة غريب القاهرة د.ط.ت.

14- عبد الرزاق قسوم أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة الدار العثمانية الجزائر سنة 2004 .

15- عبد الله الركيبي الأعمال الكاملة مجموعة 4 دار الكتاب العربي بيروت 2011.

16- عبد الله حمادي أصوات من الأدب الجزائري الحديث دار البحث قسنطينة .

17- عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية.

18- فؤاد قنديل أدب العرب في تراث العربي مكتبة دار العربية للكتاب .

19- كراتشوفسكي اغناطوس يوليانو ڤيتش تاريخ الأدب الجغرافي نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان دار الغرب الإسلامي بيروت ط2سنة1987.

20- مجدي وهبة معجم مصطلحات الأدب بيروت 1984.